الجمعة : 30/1/2008 الشيخ الطيب محمد خير الشعال

سلسلة أسرتي

9- ((يا أمي – بنتٌ تخاطب أمها))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ،الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد هـ ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، خير نبي اجتباه ، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته.

فإن بضاعة الآخرة الحسنات والسيئات ونحن عما قريب ذاهبون من هذه الدار إلى دارٍ من اتقى الله هنا سعد هناك ومن عصى الله هنا حوسب هناك فقدموا لأنفسكم...

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)) [النسائي وابن حبان]

هذه هي الخطبة التاسعة من سلسلة أسرتي وقد تحدثا فيها ((لماذا هذه السلسلة)) وتحدثنا في خطبتين ((يا بني)) أب يخاطب ابنه وأمٌ تخاطب ابنها ، وخطبتين ((يا ابنتي))، وخطبتين ((يا أبتِ)) وكانت الخطبة الثامنة ((يا أمي- ابن يخاطب أمه)) وعنوان خطبة اليوم :

((يا أمي- بنتٌ تخاطب أمها))

۞ يا أمي !

يا قدوتي ويا رفعتي ، يا صديقتي ، لئن كان أخي كتب في الخطبة الماضية مِنَناً ثلاثاً لك علينا فقد ترك لي ثلاثاً.

كتب يقول :

1- لك عليّ المَنَّةُ بأن أرضعتني من صدرك لبناً خالصاً سائغاً.

2- لك عليّ المنَّةُ بأن سقيتيني مع لبنك لبن العلم والقرآن والتقوى.

3- لك عليّ المنَّةُ بأن غمرتني حباً وحناناً ، وأنفقت عليّ الكثير من وقتك وجهدك ، ولعلك ضحيتي بكثيرٍ من آمالك ورغباتِك حتى صرتُ إلى ما صرتُ إليه من الخير .

وقد صدق أخي وصدق . وها أنا ابنتُك أكتب لك ثلاثاً فأقول :

لك عليَّ المِنَّة فأنتِ أول من علمني الحياء والعفة

ولا زلت أحفظُ قولك :

لئن كان الحياء في الرجل حسناً فهو في المرأة أحسن ، ولئن كان العفاف في الرجل زَيْنَاً فهو في المرأة أزين .

- أول حديثٍ حفظته منك « **الحياء مِنَ الإيمَانِ** » [البخاري ومسلم]
- رويتِ لي قصةَ بنات شعيب عندما خاطبنَ سيدنا موسى عليه السلام كيف سطر الله تعالى وصفهن بالحياء في القرآن ﴿ **فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** .. ﴾ [القصص:25]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **إنَّ لِكُلَّ دينِ خُلُقا ، وخُلُقُ الإسلام الْحياءُ** » [الموطأ]

وقال صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِن كلامِ النُّبوَّةِ الأُولى : إذا لم تَسْتحِ فَافْعلْ مَا شِئْتَ » [البخاري]

نعم :

- إذا لم تستحِ البنتُ فلتخرج من دارها كاسيةً عارية ، مائلة مميلة ، عارضةً مفاتنها على رجال الشوارع .
- إذا لم يستحِ الشابُ فليطلق العنان لنظره لِيسرق نظرة إلى تلك وليختلس أخرى إلى هذه ، ولِيتبع عورات الناس على حين أن الشاعر الجاهلي غير المسلم كان يقول :

وأغضّ طرفي إن بدت لي جارة حتى يواري جارتي مأواها

- إذا لم يستحِ الموظف فليطلب الرِشوة من المراجع جهاراً نهاراً علانيةً بغير سر ، وليأخذها منه وليأكل في بطنه ناراً.
- إذا لم تستحِ المرأة فلتجلس على قارعة الطريق في مقهى عام لتأخذ النرجيلة التي خَرمتْ عليها .
- إذا لم يستحِ الأبُ في المنزل فليجلس أمام شاشة التلفاز ليشاهد مع أولاده أو بسرٍّ عنهم أفلام الرذيلة والفحش والفجور .
- إذا لم يستحِ الابن فليبقَ جالساً إذا دخل أبوه أو أمه الغرفة ولا يأبه لواحدٍ منهما ، ولعله يصرخ في وجههما أو يتعالى عليهما .

« إنَّ مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِن كلامِ النُّبوَّةِ الأُولى : إذا لم تَسْتحِ فَافْعلْ مَا شِئْتَ »

♈ علمتيني يا أمي الحياء والعفة ، وكنت تنشدين لي :

إن الفتاة حديقةٌ وحياؤها — كالماء موقوفاً عليه بقاؤها

لا خير في حُسنِ الفتاة وعلمها — إن كان في غير الصلاح رضاؤها

فجمالها وقفٌ عليها إنما للناس — منها دينها ووفاؤها

هذه أول مِنَّة لك عليَّ

فأنت أول من علمني الحياءَ والعفة ، علمتني كيف أتكلم بحياء ، كيف أبتسم بحياء ، كيف أمشي بحياء ، كيف أخاطب الرجال عند الحاجة بقوةٍ وحياء ، كيف أتخلق بخلق الحياء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **الحياءُ لا يَأْتِي إلا بِخَيْرٍ**» [متفق عليه]

لك عليَّ المِنَّة فمنكِ تعلمت كيف تطيع الزوجة زوجها وكيف تحفظ بيتها وولدها

رأيتك تطيعين أبي ليسلم المركب وتَسْلَمَ الأسرة فأطعتُ زوجي ليسلم المركب وتسلم الأسرة .

رأيتك تحفظين بيتك وأولادك في حضرة أبي وغيبته فتعلمتُ كيف أحفظ بيتي وأولادي في حضرة زوجي وغيبته.

ولما سألتُك عن مسؤوليات الزوجة في بيتها ؟ أجبتني أنها في شطر من الآية 34 من سورة النساء ﴿ ..**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ** .. ﴾ [النساء:34]

فالله تعالى يقول : إن النساء الصالحات ، إن الزوجات الصالحات لهن صفتان :

الصفة الأولى : قانتات، يعني طائعاتٍ : طائعاتٌ لله تعالى وطائعاتٌ لأزواجهن.

الصفة الثانية : حافظات للغيب ، يعني يحفظن أنفسهن عن الحرام ويحفظن بيوتهن وأولادهن.

ومصداقُ ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **ألا أُخْبرك بخير ما يَكْنِزُ المرءُ ؟ المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سَرَّتْهُ ، وإذا أَمَرَهَا أطاعتْه ، وإذا غاب عنها حفظتْه** » [أبو داود]

أتدرين يا أمي : إن السجلات الإحصائية التي أعدتها مديريات التخطيط في سوريا ذكرت أن نسبة الطلاق في عام 1950 أي في زمان زواج جدي وجدتي كان تقريباً 9 %

وكذلك كانت نسبته في عام 1965 أي في زمان زواجك من أبي .

لكنها الآن يا أمي ارتفعت في زماننا لتقارب الأضعاف الخمسة ولتصبح 49% وفي بعض البلاد النفطية وصلت النسبة إلى 60 %.

ولا ريب أن هذا الرقم وهذه النسبة مؤذنة بخطر ولا شك أن على الرجال الأزواج مسؤوليات من جراء حدوث هذا الطلاق ، ولكن بلا شك أيضاً أنه على النساء الزوجات وعلينا نحن البنات مسؤوليات في حدوث هذا الطلاق.

فلك عليَّ المنة علمتني كيف أحافظ على زوجي وعلى أولادي وبيتي .

مراراً ما قرأتِ لي لما قرُبَ زفافي إلى زوجي من كتاب (المرأة العربية) 1/91 قصة زوجةِ الحارثِ بن عمرو ملك كنده : لما زفَّتها أمُّها إلى زوجها أوصتها فقالت:

أي بنية !

إن الوصية لو تُرِكَتْ لفضلِ أدبٍ لتُركتْ لذلك منكِ ، ولكن تذكرةٌ للغافل ومعونةٌ للعاقل ، ولو أن امرأةً استغنت عن الزوج لِغِنى أبويها وشِدَّةِ حاجتهما إليها كنتِ أغنى الناس عنه ، ولكنْ النساء خلقن للرجال ولهنَّ خلق الرجال .

أي بنية ! إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي فيه درجت ، على رجلٍ لا تعرفيه وخليلٍ لم تألفيه فكوني له أمةً يكن لك عبداً،واحفظي له خصالاً عشراً يكن لكِ ذخرا :

أما الأولى والثانية :

فالعيش معه بالقناعة وحسن الطاعة .

وأما الثالثة والرابعة :

فالتفقد لموضع أنفه وعينه فلا تقع عينه على قبيح ولا يشمنَّ منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة :

فالتفقد لوقت منامه وطعامه فإن شدة الجوع مَلْهبَة وتنغيص النوم مَغضبة.

وأما السابعة والثامنة :

فالاحتراس لماله والإرعاء – أي المحافظة – على حَشَمِه وعياله وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة:

فلا تعصي له أمرا ولا تفشي له سرا ، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيتِ سره لم تأمني غدره.

واعلمي أنك لا تصلين على ماتحبين حتى تؤثري رضاه على رضاكِ وهواه على هواكِ فيما أحببتِ أو كرهتِ ، والله يخير لكِ.

ثم حُملتْ إليه فعظم موقعها منه ، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن.

فجزاك الله خيراً عني يا أمي

لقد علمتُ أن واحدةً من الأمهات كانت تعلمُ ابنتها العروس كيف تعصي أمر زوجها من أول زواجهما حتى تكون الكلمة من أول الأمر لها لا له .

وعلمت أن واحدةً أخرى كانت تطلب من صهرها أن يأتيها بالهدايا كلما يأتي لابنتها العروس وإلا نكَّدت عليه عيشه .

وعلمتُ أن ثالثةً قالت لزوج ابنتها الجديد ، لما رأت ابنتها الوحيدة كتبت على جوالها أمام رقم زوجها الجديد : زوجي الحبيب ، غضبت وقالت لصهرها : انتبه لئن كنت أنت زوجها وحبيبها فأنا أُمها رُوحها وقلبها ، ولن أدعكَ تأخذها مني ، وراحت تدبُّ بينهما الفتن.

وعلمت أن رابعةً تأخذ ابنتها معها مراراً وتكراراً في الأسبوع من بيت زوجها ، فإذا قالت البنت للأم : يا أمي دعيني أستأذن زوجي ، غضبت الأم عليها وشتمتها وأظهرت ضجرها منها .

أما أنت يا أمي فقد أعنتني على طاعة زوجي وحفظ بيتي وولدي ، وهذه ثاني منةٍ لك علي .

لك عليَّ المِنَّة كنتِ القدوة الصالحة لي

فعيناي معقودتان بأعمالك وأذناي مصغيتان لأقوالك ، وهل البناتُ إلا ظلُ الأمهات رأيتك تصلين فصليتُ ، وتصومين فصمت ، وتذكرين الله فذكرت.

رأيتك تجالسين الصالحات فاخترت صاحبات صالحات وترتادين مجالس العلم والذكر فارتدتُ المجالس نفسها .

سمعتُكِ تناجين الله في قيام الليل والتهجد فتعلمتُ منك المناجاة ، وسمعتُك تدعين الله بأعذب الكلمات فتعلمتُ منك الدعاء .

ولو أنك مِلْتِ لمِلْتُ وراءَك ، ولو أنكِ شردتِ لشردتُ وراءك فجزاك اللهُ عن بناتك كلَّ خير .

۞ يا أمي !

يا كلَّ الحب وكلَّ الخير وكلَّ البر ، فضلك عليَّ كبير وجميلُك عليَّ وفير، وهذه بعضُ المنن التي لك عليَّ .

أختم كلامي بما بدأتُ به الخطبة

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

التوقيع : ابنتك المحبة

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.